دلالة الأدوات في الحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي التادلي

أ.م.د. ميعاد يوسف نصرالله الباحث. أحمد مدلول علي

كلية التربية الاساسية/ جامعة بابل

Articles evidence in The Morrocan Dore Al.Shaddali

Researcher. Ahmed Madlul Ali Ass. Prof. Dr. Meaad Yosof Nasralla
College of Basic Education\ University of Babylon
ah-y80@yahoo.com

ABSTRACT

This research is an attempt to reveal the significance of some of the tools contained in the book fervor of Morocco, which had a remarkable effect on visibility and make more sense of the recipient, so you pick a bunch of tools, and kindness, and alert, contained in the book fervor, examined in the light of the context of incoming My reaction, to rid their semantic Arabic notice.

Key words: Articles, Context, tool.

الملخص:

إن هذا البحث هو محاولة للكشف عن دلالة بعض الأدوات الواردة في كتاب الحماسة المغربية، والتي كان لها الأثر البارز في وضوح المعنى وجعله أكثر فهما للمتلقي، لذا قمت بانتقاء مجموعة من أدوات الشرط، والعطف، والتنبيه، الواردة في كتاب الحماسة المغربية، ودراستها في ضوء السياق الوارد فيه، لأخلص إلى أهميتها الدلالية على الاشعار العربية.

الكلمة المفتاحية: الدلالة، السياق، الأداة.

المقدمة:

إنَّ مصطلح الأداة هو مصطلح مرادف للحرف، يقول ابن جني: ((سُمى أهل العربية أدوات المعاني حروفًا، نحو: من، وفي، وقد، وهل،...؛ وذلك لأنَّها تأتي في أوائل الكلام وأواخره في غالب الأمر، فصارت كالحروف والحدود له))[1].

وحروف المعاني أو ما تسمى بـ (الأدوات) ليست لها معنى معجمي، بل يتحدد معناها من خلال السياق الذي ترد فيه، فهذه المعاني لا تكتسب وجودها من الدلالة المعجمية، وإنما من السياق الوظيفي، يقول تمام حسان: ((تشترك الأدوات جميعًا في أنَّها لا تدلُّ على معانٍ معجمية، ولكنَّها تدلُّ على معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم تختص كلُّ طائفةٍ منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة، كالنفي، والتأكيد، وهلم جرًا))[2].

من ذلك يُمكن القول أنَّ مصطلح الأداة والحرف مترادفان، غير أنَّ دلالتهما مختلفة وذلك بحسب السياق الذي ترد فيه كلُّ أداةٍ، وفيما يأتي دراسة لبعض الأدوات مع بيان دلالاتها وما تتركه من أثر دلالي واضح على النص.

أولًا: أدوات الشرط:

يُعد الشرط من الظواهر التي شكلت مسارًا دلاليًا انتهجهُ الشعراء في صياغة ونظم قصائدهمِ، ففي الشرط نجد السببِ والنتيجةِ، فالسببية مهمة في تقديم الأحكام وتعليلها، إذ تكون أكثر تَقَبُّلاً عند المتلقي، لاسيَّما إنْ كانت الأحكام المُقدَّمة تتفاعل مع السياق لتشكل ثنائية التركيب والدلالة.

ويعرف الشرط بأنَّه: ((تعليق فعل على فعل آخر، لو وقع الأول وقع الثاني))[3]، وتتكون جملة الشرط في الكلام من ثلاثة عناصر أساسيَّة، فضلًا عن الروابط التي تربط تلك العناصر المكونة لها، فتتركب تلك العناصر مع بعض، لتشكِّل هذا الأسلوب الذي انمازَ عن غيره من الأساليب، إذ تتحد هذه الجملة المتكوِّنة من الأداة، وعبارة الشرط، وعبارة الجواب؛ لتكوِّن فكرةً، أو معنىً تامّاً[1].

1 سر صناعة الأعراب: 107/1.
2 اللُّغة العربية معناها ومبناها: 125.
3 نحو المعاني / 115 0

ولأداة الشَّرط حُضور مُمَيَّزٍ في الحماسة المغربية، فقد كان لها أثرٌ مهمٌ في الربط بينَ أجزاء البيت الشعري، وهذا ما دعاهم إلى استعمالها في اشعارهم.

ولكثرة أدوات الشرط، وكثرة المواضع التي وردت فيها في الحماسة المغربية ارتأيتُ الانتقاء منها، وهي:

أ: (إنْ) و(إذا):

عُني النحويون والبلاغيون بمعاني الأدوات، وفرَّقوا بينهما، إذ ذكروا في الفرق بين (إنْ)، و(إذا) في الشرط، فـ(إنْ) تُستعمل في المشكوك في حصوله والنادر، أما (إذا) فلا تُستعمل إلا في الأمر المقطوع بحصوله، أو الكثير الوقوع [2]، ويظهر هذا الفرق في تحليل شواهد من الحماسة، ففي قول المتنبي:

الرَّأْي قبل شجاعة الشجعان هِيَ أول وَهُوَ الْمَكَان الثَّانِي

فَإِذا هما اجْتمعَا لنفسٍ حرةٍ بلغت من العلياء كلَّ مَكَان[3]

نلحظ هنا أنَّ الشاعر استعمل أداة الشرط (إذا) في قوله: (فَإِذا هما اجْتمعَا لنفسٍ حرةٍ)، وقد أراد الشاعر بذلك أنْ يؤكد اجتماع الرأي (العقل)، والشجاعة في نفسٍ واحدةٍ، كريمةٍ، أبية؛ حتى يبلغ المعالي.

ونجد استعمال (إذا) لإفادة المعنى نفسه في قول عنترة:

وَإِذا حملت على الكريهة لم أقل بعد الكريهة لَيْتَنِي لم أفعل[4]

ففي هذا البيت يفخر الشاعر بنفسه، وبأنَّه حمل نفسه على المكروه الذي لا تشتهيه النفس، وهو الحرب، وهذا الحمل على الكريهة هو يرتضيه، فهو غير نادم على ذلك؛ لأنَّه لم يكن حمله على جهلٍ منه وعمى فيندم على حمله ويقول ليتني لم أفعل، وبذلك يكون استعمال الأداة (إذا) أنسب لسياق التوكيد.

ونجد الاستعمال نفسه في قول حاتم الطائي:

وعاذلة قَامَت عَليّ تلومني كَأَنِّي إِذا أَعْطَيْت مَالِي أضيمها[5]

فالشاعر هنا استعمل الأداة (إذا)؛ للدلالة على التوكيد، إذ أراد أن يبيِّن حالة زوجته والتي تؤكد أنَّه في حال استمر في العطاء فإنَّه (سيظيمها) أي: يظلمها، وهذا الشيء المؤكد في بالها غير صحيح والدليل على ذلك قوله في السياق نفسه:

أعاذل إِن الْجُود لَيْسَ بمهلكي وَلَا مخلد النَّفس الشحيحة لومها[6]، فهو يقابل توكيدها بتوكيد أقوي منه مكوَّن من (إنَّ، والباء)؛ لينقض توكيدها، ولبيِّن أنَّ ما تدعيه غير صحيح، فالجود لا يهلك الإنسان بل يُخلِّده.

وفي مواضع أخرى نجد الشعراء يستعملون (إنْ) في الأمر المشكوك في حصوله والنادر، من ذلك قول أبي تمام في مدح محمد بن عبد الملك الزيات:

وَإِن عفت أمرا مُدبر الْوَجْه إِنَّنِي لأترك حظاً فِي فنائك مُقبلا

وَإِن كنت أخطو ساحة الْمحل إِنَّنِي لأترك روضاً من جداك وجدولا[7]

أتى الشاعر بالأداة (إنْ) في قوله: (وإنْ عفت)، و(إنْ كنت اخطو)؛ للتعبير عن الأمر المشكوك فيه، فهو على الرغم من تركه لبلدة الممدوح ورجوعه إلى وطنه إلا أنَّ روحه بقيت عالقة في الإنسان الذي يُعدُّ ملجأ وملاذًا وحظًا وافرًا له، وكذلك في ساحات الرياض والجداول الجميلة.

---

1 ينظر: في النحو العربي:284.
2 ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: 346، ومعاني النحو، فاضل السامرائي: 4 / 60.
3 الحماسة المغربية: 1 /500.
4 المصدر نفسه: 1/ 586.
5 المصدر نفسه: 1/ 588.
1.6 الحماسة المغربية:/ 588
7 المصدر نفسه: 342/1.

ومن ذلك أيضًا ما نجده قول الشمقمق[1] في هجاء سعيد بن سليم الباهلي:

هَيْهاتَ تَضرِبُ فِي حديدٍ باردٍ إن كنتَ تطمَعُ فِي نَوال سَعِيدِ[2]

أورد الشاعر الأداة (إنْ) هنا؛ للإشارة إلى الشيء المشكوك فيه، فالسياق يُخبر أنَّ الشاعر يهجو (سعيد بن سلم الباهلي)، ويصفه بأنَّه بخيل؛ لذا لا أحد يطمع في عطائه، فهذا الأمر بعيد، ومشكوك فيه، فهو كمن يضرب في حديد بارد لا طائل منه.

وقد ترد الأداتان في موضع واحد، فتدلُّ كلُّ أداة على المعنى الذي وُضعت عليه، فيكون الفرق بينهما واضحًا.

فمن اجتماع الأداتان في موضعٍ واحدٍ من الحماسة قول الأخطل:

صُمٌ إذا سَيمعوا خَيْراً ذُكِرْتُ بِهِ وَإنْ ذُكِرْتُ عْندَهُم أَذِنوا[3]

إذ نلحظ في البيت الشعري ورود (إنْ)، و(إذا) في سياق واحد غير أنَّ المعنى فيهما مختلف، فمعنى (إذا) في الشطر الأول هو التوكيد؛ لأنَّها وردت في سياق سماع الخير، فأشارت إلى أنَّ سماع الخير عنه شيء مؤكد وكثير على الرغم من صَمم الناس عنه وعن إذاعته.

ومعنى (إنْ) في الشطر الثاني هو الشك في الأمر، أي أنَّ مساوئه مشكوك فيها، وهي على الرغم من قلَّتها إلا أنَّ عُذاله يُذيعوها بغضًا وحسدًا منهم.

ونجد ذلك أيضًا فيما كتبته امرأة لزوجها الذي كان يُحضِّر مائدة الحجاج، وقد كتب إليها يُعلمها بذلك إذ تقول:

أتُهْدي ليّ القِرْطاسَ والْخُبْزُ حاجَتي وَأَنت على بابِ الأميرِ بَطِينُ

إذا غِبْتَ لَمْ تَذْكُرْ صَديقًا وإنْ تُقِمْ فأنْتَ على مَا فِي يَدَيْكَ ضَنينُ[4]

فنلحظ في البيت الثاني أنَّ استعمال (إذا) في بداية الشطر الأول يدلُّ على التوكيد، فهي أرادت أنْ تؤكد أنَّه في حال غيابه عنها ينساها ولا يذكرها بشيء، أمَّا في حالة وجوده عندها فيكون مترددًا في الإعطاء، والنفقة، والكسوة، فهو ضنين أي: بخيل، لذا استعمل(إنْ) الدالة على التردد والشك؛ لكونها الأنسب في المقام.

وعلى الرغم من كثرة استعمال (إذا) في مقام التوكيد، واستعمال (إنْ) في مواضع الشك، إلا أنَّ هذا الشيء ليس مطَّردًا، فقد وجدتُ في شواهد من الحماسة المغربية أنَّ (إنْ) تأتي بمعنى (إذا) فتكون في الأمر المتحقق، أو الكثير الوقوع، من ذلك ما نجده في قول أبي تمام في مدح أبي سعيد:

إن حن نجدٌ وأهلوه إِلَيْكَ فقد مَرَرْت فِيهِ مُرُور الْعَارِض الهطل[5]

استعمل الشاعر (إنْ) في سياق التوكيد، حيث أراد أن يبيِّن أنَّه لا عجب ولا غرابة في أن يحنَّ عليه أهله وأهل نجد؛ لأنَّه قد أحسن إليهم، فهو كالسحاب الممطر الذي حين يمرُّ على المكان يجلب الخير معه، ومنه أيضًا قول أبي طالب بن عبد المطلب:

وَإِن حصلت أَشْرَاف عبد منافها فَفِي هَاشم أَشْرَافهَا وقديمها

وَإِن فخرت يَوْمًا فَإِن مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفى من سرها وكريمها[6]

فقد أورد الشاعر الأداة (إنْ) في الموضعين السابقين (وَإِن حصلت، وَإِن فخرت)؛ للتأكيد لا الشك، فهو لم يرد أنْ يبيِّن أنَّ الأشراف وهم (عبد مناف) أمر مشكوك فيه، ولا أنَّ الفخر بمحمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)** فيه شك أيضًا، بل أراد توكيد الأمران، الأول: أنَّ بني هاشم هم أشرف عبد مناف، والثاني: أنَّ الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)** هو الأكرم والأفضل فيهما معًا.

---

1 الشمقمق: هو أبو محمد مروان بن محمد، ومعنى الشمقمق، هو الطويل في المدح والهجاء وأغراض أخرى. يُنظر: (الأغاني: 5 /54).
2 الحماسة المغربية:2 / 1377.
3 الحماسة المغربية: 2/ 1370.
4 المصدر نفسه: 2/ 1395.
5 الحماسة المغربية: 1/ 368.
6 المصدر نفسه: 1/ 102.

ب: لو:

هي إحدى أدوات الشرط، وهي تدلُّ على الامتناع، أي امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط، نحو: (لو زرتني لأكرمتك)، فامتنع الإكرام لامتناع الزيارة[1].

وتدخل (لو) على الفعل الماضي فتجعله مستقبلًا، يقول ابن يعيش: ((إذا وقع بعدها الماضي، أحالت معناه إلى الاستقبال))[2]، وتدلُّ (لو) أيضًا على التمني، فتكون بمنزلة (ليت) في المعنى لا في اللَّفظ والعمل، نحو قوله تعالى: **((فلو أنَّ لنا كرة فنكون من المؤمنين)) الشعراء: 291** [3].

ونظرًا لما تتمتع به هذه الأداة من معانٍ، نجد الشعراء يؤثرون استعمالها في أشعارهم، من ذلك ما نجده في قول أحد الشعراء في الرثاء:

تَجَرَّأَ عَلَيَّ الدَّهْرُ لَمَّا فَقَدْتُهُ وَلَوْ كَانَ حَيّاً لاَجْتَرَأْتُ عَلَى الدَّهْرِ[4]

فالشاعر أورد (لو)؛ لإفادة الشرط المقطوع بانتفائه، وكذلك إفادة التمني، فالدهر لا يُمكن له أنْ يتجرأ على الشاعر في حالة كون المرثي حيًا، لذلك نجده يُظهر الحسرات والآهات لفراقه، ويتمنى لو أنَّه لايزال حيًا، يقول في السياق نفسه:

فَيَالَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ عَلَيْهَا ثَوَى مَيْتاً مُقيماً إلى عَشْرِ[5]

ومن استعمالات (لو) ما نجده في قول أبي العتاهية:

يَا عَجَباً للنَّاسِ لَوْ فَكّروا أوْ حاسَبوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَروا

وَعَبَروا الدُّنْيا إلى غَيْرِها فإنَّما الدُّنْيا لَهُمْ مَعْبَرُ[6]

فالشاعر هنا استعمل الأداة (لو)؛ لإفادة الشرط المقطوع بانتفائه، وهو أنَّ عليهم أنْ يمعنوا النظر والتفكير في حال الدنيا، وأنْ يحاسبوا أنفسهم قبل فوات الأوان، فالذين يقومون بذلك سيُبصرون فيجعلون الدنيا كالمعبر لهم إلى النعيم الدائم، وأما العكس فسيندمون وعندئذ سيفوت الأوان ولا يكون للتمني مكان.

ونجد المعنى نفسه في قول الشريف الرضي:

لَو كانَتِ اللِّمَّةُ السَّوداءُ من عُدَدي يَومَ الغُمَيْم لَمَا أَفْلَتِّ أَشْراكي[7]

فقد استعمل الشاعر أداة الشرط (لو) في سياق مخاطبة محبوبته، فذهب إلى أنَّها ما كان لها أنْ تفلت من أشراكه (حبائل الصيد) في يوم التقت به في وادي الغميم، ولكنَّها تخلَّصت منه؛ لكونه لا يملك العِدَّة والتي هي (اللُّمة السوداء، أي: الشعر الأسود في الرأس المجاور لشحمة الأذن)[8]، وقد قصد بذلك الشباب، فهو لوكان يمتلك الشباب لما فلتت من حبه، وهو يتمنى في الوقت نفسه امتلاكه لتلك العدَّة.

ثانيا: أدوات العطف:

تُعد أدوات العطف واحدة من الأدوات المهمة التي تُسهم إسهامًا كبيرًا في ربط النص وتماسكهِ؛ لأنَّ الكلام يتألف من ألفاظ وهذه الألفاظ تكون جملًا غير منعزلة بعضها عن بعض الآخر، ولكنَّها تتصل فيما بينها؛ لتؤدي المعنى المراد منها في السياق، فالمعطوف لا يُمكن جمعه مع المعطوف عليه مالم يكن هناك رابطًا يجمع بينهما، وقد تحدّث عن ذلك عبد القاهر الجرجاني قائلًا:

---

1 يُنظر: معاني النحو: 4/ 76.
2 شرح المفصل: 5 / 106.
3 يُنظر: مغني اللبيب: 1/ 233.
4 الحماسة المغربية: 2/ 838.
5 الحماسة المغربية: 2/ 838.
6 المصدر نفسه: 2/ 1419.
7 الحماسة المغربية: 2/ 1032.
8 ديوان الشريف الرضي:107/2.

((اعلم أنَّ العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجُمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها... من أسرار البلاغة وممّا لا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلّا الأعراب الخُلّص, وإلّا قوم طُبعوا على البلاغة))[1].

وشخّص ابن يعيش أيضًا، فائدة عطف الجُمل بعضها على بعض بنحوٍ دقيق بقوله: ((والغرض من عطف الجُمل ربط بعضها ببعض واتصالها, والإيذان بأنَّ المتكلّم لم يرد قطع الجملة الثانية عن الأولى))[2].

ولبيان دلالة حروف العطف، وما تتركه من أثرٍ دلالي على المعنى، قمتُ بانتقاء نماذجًا منها في الحماسة المغربية، وهي:

أ: الواو، الفاء، ثم:

تدلُّ (الواو) على مطلق الجمع، فهي تعطف الشيء على صاحبه، وعلى سابقه، وعلى لاحقه، ولا يُعرف ترتيب المتعاطفين إلا بوجود قرينة [3].

وتُعدُّ (الواو) من أكثر حروف العطف تداولًا في الكلام، وقد أرجع أحد المحدثين سبب ذلك إلى ((أنَّ النفَس عند خروج صوتها لا يصطدم بأيِّ عائق في جهاز النطق، كما أنَّ (الواو) المنفردة غير المقترنة بأيِّ حرف آخر لا تجد ما يحدّ لها من وظائفها وتلونات معانيها ووجوه استعمالاتها، فكانت بذلك أكثر أحرف العطف تحرراً وحريَّة))[4].

ونظرًا لما تتمتع به (الواو) من الصفات نجدها مستعملة في مواضع عديدة من الحماسة المغربية، فتأتي لتدلَّ على معانٍ مختلفة، منها (الترتيب)، يقول أبي الطفيل:

إن النَّبِي هُوَ النُّور الَّذِي كشفت   بِهِ عماية ماضينا وباقينا[5]

فالشاعر هنا استعمل حرف العطف (الواو)؛ للدلالة على الترتيب، أي بيان أنَّ نور الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)** قد أزال (العماية) أي: ((السَّحابَةُ الكثيفَةُ المُطْبَقَةُ_ أو _ بقِيَّةُ ظُلْمَةِ اللّيْل))[6]، وهو كناية عن إزالة ظلمة الكفر بنور الإسلام، وكانت هذه الإزالة بالترتيب، حيث بدأ من الماضي واستمر إلى الحاضر والمستقبل بالترتيب الذي لا انقطاع أو تراخٍ فيه.

ومن المواضع التي استُعملت فيها (الواو) في غير الترتيب قول ابن مالك:

نشاوره فِي مَا نُرِيد فقصرنا   إِذا مَا اشْتهى أَنا نطيع ونسمع[7]

فالشاعر هنا أورد (الواو) في سياق مدح الرسول محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، وقد جيء بها هنا؛ للدلالة على غير الترتيب، حيث قدَّم الطاعة على السمع، أي: أن المسلمين يطيعون الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)** قبل أن يسمعوا أوامره، وبهذا تكون (الواو) قد عطفت الشيء على لاحقه، وهي بذلك لم تفد الترتيب، إذ لو روعي الترتيب فيها لقدَّم السمع على الطاعة.

وقد تخرج (الواو) عن دلالتها إلى دلالة أخرى فترد بمعنى (الفاء)، ذلك في إفادة الترتيب والتعقيب والسببية [8].

والمراد بالترتيب أن يكون المعطوف متأخرًا عن المعطوف عليه، أمَّا التعقيب، فأن يكون المعطوف عقيب المعطوف عليه من غير مهلة[9].

فمن أمثلة ورود (الفاء) للدلالة على (التعقيب)، ما نجده في قول الشماخ في وصف مضيفُ كريمٍ:

دَعَوْت إِلَى مَا نابني فَأَجَابَنِي   كريمٌ من الفتيان غير مزلج[10]

---

1 دلائل الإعجاز: 222.
2 شرح المفصل: 75/3.
3 يُنظر: مغني اللبيب: 2 / 408، وشرح ابن عقيل: 2 / 208.
4 حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، عباس حسن: 41.
5 الحماسة المغربية: 1/ 63.
6 تاج العروس (ع م و):39 /114.
7 الحماسة المغربية: 56/1.
8 يُنظر: البرهان في علوم القرآن: 4 / 142.
9 يُنظر: أوضح المسالك:361/3.
10 الحماسة المغربية: 208/1.

حيث نلحظ في السياق أنَّ (الفاء) استُعملت للدلالة على سرعة إجابة الكريم لدعوة الذي يدعوه عند وقوع النوائب، لذا ناسب المقام استعمال حرف العطف (الفاء)؛ لدلالته على السرعة والمهلة القصيرة.

وفي سياقٍ آخر نجد (الواو) قد استعملت الاستعمال نفسه، فجاءت بمعنى (الفاء)، أي إفادة الترتيب والسببية، من ذلك قول أبي فراس الحمداني:

لقِيت من الْأَيَّام كل عظيمةٍ وقابلني دمعي بِوَجْه قطوب[1]

فوردت (الواو) هنا لإفادة (التعقيب)، وهذا واضح من السياق، فالشاعر في سياق بيان ما لقيه في أيام حياته من الأمور الصعبة، والتي كانت نتيجتها مقابلة الدمع إياه بوجه قطوب، من دون أيِّ مهلة أو تروي.

وترد (الواو) أيضًا بمعنى (ثم)، حيث تأخذ الدلالة نفسها لحرف العطف (ثم) وهي الترتيب مع التراخي والمهلة [2]

فمن أمثلة دلالة (ثم) على التراخي والمهلة، ما نجده في قول عدي بن زيد:

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيارِ مِنْ قَوْمِ نوحٍ ثمَّ عادٌ مِنْ بَعْدِهِمْ وَثَمُودُ[3]

فالشاعر جاء بـ(ثم) هنا؛ للدلالة على وجود مدَّة زمنية بين المعطوف والمعطوف عليه، والتي تستلزم مهلة ووقت، فقوم عاد جاؤوا من بعد قوم نوح بمدَّة فيها تراخٍ ومهلة.

أما مجيء (الواو) بمعنى (ثم)، فنجده في قول الحسن بن هاني:

سَاد الرّبيع وساد فضلٌ بعده وعلت بعباس الْكَرِيم فروع[4]

فـ(الواو) في (وساد)، و(وعلت)، أفادت الترتيب والتراخي؛ لأنَّ هناك مدة طويلة بين سيادة هؤلاء، فالربيع بن يونس (**ت 169هـ**)، ساد في زمن أبي جعفر المنصور، فكان صاحبه فصار وزيره، وابنه الفضل بن ربيع (**ت 208**)، حجب هارون الرشيد، وعباس بن الفضل حجب محمد الأمين [5]. وعلى الرغم من أنَّ المدة الزمنية بينهم متباعدة، إلا أنَّ الشاعر جاء بأداة العطف (الواو)، وهذا خارج عن المألوف.

ب: أو:

إنَّ المعنى الأصلي لـ(أو) عند النحويين إنَّما هو الدلالة على أحد الشيئين أو الاشياء؛ لأنَّها لغير الاشتراك، أي قد يتفرع عن هذه الدلالة الأصلية معانٍ أخرى بمعونة السياق منها: التخيير، والإباحة في الطلب، والشك والابهام والتقسيم.[6]

فمن دلالتها عل التقسيم ما نجده في قول ابن هرمة:

كم من يدٍ لَك فِي الأقوام قد سلفت عِنْد امرئٍ ذِي غنى أَو عِنْد مُحْتَاج[7]

نلحظ أنَّ الشاعر أورد الأداة (أو) هنا؛ لإفادة التقسيم، أي تقسيم الكليات إلى جزيئات، وهذا واضح من السياق، فقد بيَّن الشاعر أنَّ الأقوام الذين شملهم معروف الممدوح قسمان: امرؤ ذو غنى، وامرؤ ذو حاجة.

وترد (أو) للدلالة على الشك، أي: الشك في الخبر والإنشاء، إذا كان المتكلم شاكًا في كلامه [8] ونجد ذلك المعنى في قول صريع الغواني في مدح جعفر البرمكي (وزير الرشيد):

كَأَنَّهُ قمرٌ أَو ضيغمٌ هصرٌ أَو حيةٌ ذكرٌ أَو عارضٌ هطل [9]

1 الحماسة المغربية: 1/ 732.
2 يُنظر: مغني اللبيب: 1 / 177.
3 الحماسة المغربية: 2/ 1403.
4 المصدر نفسه: 1 / 277.
5 يُنظر: تاريخ مدينة دمشق:18 / 90.
6 يُنظر: مغني اللبيب: 1 /79 – 80.
7 الحماسة المغربية: 1 /214.
8 يُنظر: ارتشاف الضرب:4 / 1989.
9 الحماسة المغربية: 1 /239.

فالشاعر هنا استعمل الأداة (أو) في سياق الشك والإبهام، فهو متحيِّر في تشبيه ممدوحه، هل يشبهه بالقمر، أو بالضيغم الهصر، أي الأسد المفترس، أو بالحية الذكر، وبالعارض الهطل، أي وصفه بالسيل الممطر، وفي ذلك دلالة على كثرة خصاله الحميدة.

وترد (أو) لإفادة معنى آخر هو (التخيير) مثال ذلك ما نجده في قول قيس بن ذريح:

وَحَدَّثْنِي يَـــا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ عَلَى الهجرِ مِن لُبنَى فَسَوفَ تَذُوقُ

فَمُتْ كَمَداً أَو عِشْ سَقيماً فَإِنَّما تُكَلِّفُنِي مَـــــا لَا أَرى فَتُطِيـــــقُ[1]

فالشاعر هنا يخير قلبه بين الموت من الحزن، أو العيش في سقم من حبه للبنى، وهذا المعنى قد صورته الأداة (أو)؛ لذا آثر الشاعر استعمالها.

ثالثا: أدوات التنبيه:

يُعدُّ التنبيه واحدًا من المظاهر المهمة في العربية، ويعرَّف بأنَّه: إعلام ما في ضمير المتكلم للمخاطب [2]. وتعددت طرق العرب في التنبيه فقد كانوا يستعملون أدوات خاصة في هذا المجال، وقد أطلق عليها النحويون أحرف التنبيه وهي: (ألا، وأما، وها)،وكذلك استعملوا أساليبًا معينة للتنبيه مثل النداء والتحذير والإغراء.

وقد استعمل العرب التنبيه في كلامهم كثيرًا؛ لعدَّة أغراض، فقد يؤتى بها لبيان شيء ربما يكون المتلقي غافلًا عنه، وقد يقصدون به إعلام المخاطب واستدعاء ذهنه للالتفات إلى الكلام الذي سيُلقى عليه لأهميته وخطورته مما ينبغي له التفطن إليه، والوقوف عليه وذلك في حال كون المخاطب ساهيًا أو غافلًا.

من ذلك يُفهم أنَّ لأدوات التنبيه أهمية في تنبيه المتكلم للمخاطب وإعلامه بما يُريد للإصغاء والالتفات إلى ما يأتي بعده من الكلام حتى لا يفوته شيء لغفلته منه.

ويختلف نوع المنبه عليه وذلك بحسب السياق الذي يرد فيه التنبيه، فمن دلالة حروف التنبيه هو لفت الانتباه للمفاخرة، من ذلك ما نجده في قول أبي فراس الحمداني:

أَلا هَل منكرٌ يَا بني نزارٍ مقَامي يَوْم ذَلِك أَو مقالي

تركت ذوابل المران فِيهَا مخضبةً محطمة الأعالي(3)

نلحظ هنا أنَّ الشاعر استعمل الأداة (ألا)، وهي أحدى أدوات التنبيه، وقد أشار الرضي إلى أنَّ لها فائدة معنوية هي: توكيد مضمون الجملة، وهذا عائد إلى كونها مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي (لا)، والهمزة هنا يراد بها الإنكار، والإنكار نفي، ونفي النفي اثبات فالحرفان رُكبا لإفادة الإثبات والتحقيق [4].

وهذا ما أراده أبو فراس الحمداني، فقد اراد باستعماله أداة التنبيه أن يلفت انتباه المتلقي إلى مفاخره وما يتمتع به من الشجاعة، وبهذا يثبت ويحقق مكانته العالية بين قومه.

ومن المعاني الأخرى التي تؤديها أدوات التنبيه، هو لفت الانتباه للممدوح، من ذلك ما نجده في قول الشاعرة قتيلة بنت النَّضر بن الحارث [5]:

أمحمدٌ هَا أَنْت ضِنْء نجيبةٍ فِي قَومهَا والفحل فحلٌ معرق [6]

1 الحماسة المغربية: 1 / 923.
2 ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون 23/3.
3 الحماسة المغربية: 1 / 738.
4 شرح كافية ابن الحاجب:3 / 373.
5 قتيلة بنت الحارث: هي زوجة عبد الله بن الحارث بن أمية، وهي شاعرة مخضرمة أدركت الإسلام: يُنظر: (الأغاني: 1 / 30).
6 الحماسة المغربية: 1 / 100.

فالشاعرة افتتحت البيت الشعري بهمزة النداء، وأداة التنبيه (ها)، وقد أرادت بذلك لفت انتباه السامع والقارئ إلى الممدوح وهو النبي محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، وكذلك لفت الانتباه إلى أصل الرسول الكريم محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، وبأنه ظنأ لامرأة نجيبة، وأنَّ أباه هو من فحول العرب العريق النسب.

ويأتي التنبيه كما قلنا لغرض لفت الانظار إلى قضية معينة، منها لفت الانتباه إلى المرثي وبيان مكانته في نفس الشاعر، من ذلك ما نجد في قول سُليمان بن قَتَّةَ العَدَاوِيُّ[1] وهو يمدح أهل البيت **(عليهم السلام)**:

أَلا إنَّ أَهْلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هاشِمٍ أذلّت رِقابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ
وَكانُوا غِياثاً ثُمَّ أَضْحَوْا رَزِيَّةً لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزايا وَجَلَّتِ[2]

فالشاعر هنا يرثي أهل البيت عليهم السلام الذين استشهدوا في معركة الطف فيبدأ البيت بأداة التنبيه ثم يردفها بأداة التوكيد (إنَّ)، وقد أراد الشاعر بذلك أن يُلفت أذهان السامعين إلى عظم المصيبة التي تعرض لها (آل هاشم)، فهي لعظمتها قد أذلت رقاب المسلمين.

ويأتي أحيانًا بأداة التنبيه؛ لغرض التعجب من أمر ما، يقول ابن خفاجة:

أَمَا تَرَى أُعْجُوبَةً أَنْ تَرَى فِي الْحُبِّ مَقْتُولاً فَدَى قَاتِلا[3]

نلحظ أنَّ الشاعر بدأ بأداة التنبيه (أما)؛ لإفادة الحقيقة لا المجاز، فالشاعر باستعماله لأداة التنبيه (أما) قد لفت انتباه المخاطب إلى شيء عجيب، وهو أنَّه لا يستغرب إذا رأي المقتول، أي (المعذب بالحب إلى الحد الذي يصبح فيه) مقتولًا من قبل من يحب فإنَّه يُفديه بروحه لو تطلَّب الأمر ذلك.

مما تقدم نجد أنَّ الاستعمال الدلالي لأدوات الشرط والعطف والتنبيه، قد أثرى النص الشعري، وكشف عن التمكن اللغوي لمنشئه، بعد أنْ أحسن في توظيفها.

الخاتمة:

أدت الأداة وظيفة مهمة في النصوص الشعرية، فقد ربطت بين أجزاء الجملة، وكذلك استعملها الشعراء بحسب حاجة السياق لها، وبحسب مقتضيات القول، فقد وجدتُ خروج بعض الشعراء عن الدلالات الموضوعة للأدوات؛ بسبب المقام ومقتضى الحال، فنجد مثلا تبادلًا دلاليًّا بين (إنْ، وإذا) الشرطيتين، وبين (الواو، وثم، والفاء).

المصادر:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، (ت745هـ)، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م.
- أوضح المسالك إلى ألفية أبن مالك، ابن هشام الأنصاري، (جمال الدين عبد الله بن يوسف)،(ت761هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة، دار الفكر، 1976م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ط.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، (ت1205هـ)،الطبعة الإولى، المطبعة الخيرية، مصر، سنة 1306هـ.
- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، عباس حسن، منشورات دار الكتاب في بيروت، 2007م.

1 سليمان بن قتة: هو مولى تميم بن مرة، وهو من المحدثين الثقاة، وكان منقطعا لبني هاشم، وله فيهم مدائح مشهورة. يُنظر: (تاريخ الطبري: 7 / 34).
2 الحماسة المغربية: 2 / 800.
3 المصدر نفسه: 2 / 1056.

- الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، لأبي العباس التادلي (المتوفى: 609هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر – بيروت ط 1، 1991م.
- دلائل الأعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1, 1988م.
- ديوان الشريف الرضي، شرح وتحقيق د. محمود مصطفى حلاوي، مطبعة دار الأرقم، ط1، بيروت، 1999م.
- سر صناعة الاعراب: ابو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي، ط1، دار القلم، دمشق 1985م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت769هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ت ط 20, 1980م.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي (ت646هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, ط 1, 1993م.
- شرح المفصل: ابن يعيش النحوي (ت 643هـ)، يعيش بن علي، (علم الكتب . بيروت)، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).
- في النحو العربي نقد وتوجيه . الدكتور مهدي المخزومي . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ط/2 . 2005م.
- كشاف إصلاح الفنون، محمد علي التهانوي(ت في القرن الثاني عشر الهجري)، تحقيق لطفي عبد البديع، ترجم النصوص الفارسية عبد المنعم محمد، راجعه أمين الخولي، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، د ط، د ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، 1991م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، ضبطه وعلَّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.